سلسلة عظمة الخالق



السماء

تأليف

الشيخ منصور الرفاعى عبيد
من علماء الأزهر الشريف

الدكتور إسماعيل عبد الفتاح
مشرف الطفولة بوزارة الاعلام

تصميم وإخراج فنى : أحمد صابر المرسى

رقم إيداع
١٠٩٥١ / ٢٠٠٠

I.S.B.N
977- 301 - 082 - 1



الشركة العربية للنشر والتوزيع
١٤٢ شارع جول جمال - المهندسين
ت: ٣٠٣٦٣٠١

المقدمة

أىْ بُنَىَّ:

هل رفعتَ رأسَكَ إلى السماءِ يومًا..؟!

وهل تأمَّلْتَ ما فى السماءِ...؟

وهل سألتَ نَفْسَك: لماذا خلقَ اللهُ السماءَ؟!

ثم ...

هل رجَعْتَ ببصَرِك سريعًا إلى الأرضِ وتأمَّلتَ فيما ينبُتُ فيها؟ وما يجْرِى حولَها من بحارٍ وأنهارٍ ... وسألتَ نفسَكَ .. لماذا هذا الكونُ كلُّه...؟!

كلٌّ منَّا سألَ نفسَه هذه الأسئلة...

وكلٌّ منا وصلَ إلى إجابةٍ سليمةٍ:

اللهُ - سُبْحَانَه - هو الذى خلقَ كلَّ هذا لِحِكْمةٍ إلهيَّةٍ عظيمةٍ...

فتعالَ نَتَأَمَّلْ سويًّا هذا البناءَ الشامخَ العالِىَ فوق رءوسِنا: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧) «سورة الذاريات» ...

مَهامُ السماءِ

السماءُ لها عدَّةُ مهامٍّ... خلقَها اللهُ عزَّ وجلَّ من أَجلِها، ويُمكنُ أَنْ نَراها حولَنا.

فإنزالُ الماءِ لإحياءِ الأرضِ وإخراجِ الزرعِ وشربِ الإنسانِ وصُنْعِ طعامِه وغَسْلِ جسدِه، وما فيهِ من مصلحتِه الجسديَّةِ والاجتماعيةِ كلُّ ذلك من مهامِّ السماءِ، ولذلك يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢) «سورة البقرة».



ثم إنَّ السماءَ جميلةٌ رائعةٌ، وتُضْفِي صفةَ الجمالِ على المظهرِ الذى تراه بعَيْنَيكَ، لأنَّ الجمالَ يريحُ النفسَ ويرقِّقُ المشاعرَ ويُهَذِّبُ الوجدانَ، ويقولُ اللهُ فى ذلك ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (١٦) «سورة الحجر».



ولهذا ... عندما نتأملُ في نجومِ السماءِ في الليل، خاصةً إذا ظهرَ القمرُ، وأرسلَ بضوئه الهادئ وأشعَّتة الفضيَّة، نَجدُ الانسجامَ بينَ هذا الكونِ الذى يَحْتَويكَ مع غيركَ من مخلوقاتِ الله ... ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾(٣) بعد قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾(٣) «سورة الملك»...

والمعْنَى: هل تَرَى فى الكونِ أىَّ قُصُورٍ من الناحية الجَمَاليَّة التى تُنعشُ نفسَكَ وتُضْفِي عليها الأمْنَ النفسيَّ والهُدُوءَ والاسترْخاءَ .. ويقولُ عزَّ وجلَّ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾(٦) «سورة ق».

وهناكَ مُهِمَّةُ إنزالِ العقابِ، لأنَّ اللهَ - جلَّ جلالُه - لايَحُدُّهُ زمانٌ ولا مكانٌ، هو فوقَ الكونِ، وهو معكُم أيْنَمَا كنتُم لأنَّهُ لايغيبُ عن علمهِ شيءٌ فى الأرضِ ولا فى السماءِ...

ولذلك، بعثَ إلى الإنسانِ الرسلَ، ومُهِمَّتُهُم أنْ يُوَجِّهُوا الإنسانَ إلى عبادةِ اللهِ الواحدِ الأحدِ، وتقديمِ الخيرِ للبشرِ، والاحتكاكِ بالكونِ فى برٍّ وإخاءٍ وتعاونٍ وتسامحٍ وأُلْفَةٍ كريمةٍ ... فمن خرجَ على مقْتَضَى ذلك وبغَى وطغَى نَزَّلَ اللهُ عليه عذابًا من السماءِ... يقول الله عز وجل: ﴿ **فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾ (٥٩) «سورة البقرة».

وهناك مُهِمَّةُ إحراقِ الشياطينِ العُصَاةِ، لأن الجنَّ كانتْ تَتَسَمَّعُ إلى الملائكةِ وهم يتحدثون فى السماءِ، بما صدرَ إليهِم من تعليماتٍ وأوامرَ إلهيةٍ،

وكانَت الشياطينُ تتسمَّعُ، ثم تنزلُ مُسرعةً إلى الأرضِ، وتخبرُ الكُهَّانَ والعرّافينَ والمنجِّمين وهم كَذَبَةٌ... فتخبرُهم الشياطينُ بما استمَعوا إليهِ من الملائكة ... فيُحدِّثون الناسَ بذلكَ، فيظنُّ الناسُ فيهم أنَّهم يعرفونَ الغيبَ، وكانوا يضحكونَ على الناسِ بذلك ويسلُبُون أموالَهم، ويخبرونَهم بأشياءَ هى حقيقيةٌ فعلاً ... ولكنها معلوماتٌ مسروقةٌ، وكان الأوْلَى ألا يذِيعُوهَا... فلما أُرْسِلَ سيدُنا محمدٌ ﷺ، حفظَ اللهُ السماءَ

من الشياطين.. فأصبح أيُّ شيطانٍ من يوم بعْث سيدنا محمدٍ يذهبُ إلى السماءِ ليَتسمَّعَ، ينزلُ عليه شهابٌ يحرقُه...

ولهذا ... قالت الشياطينُ بعد مَبْعَث سيدنا محمد ورأوا أنَّهم يُحْرَقُونَ قالوا: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ (٨) «سورة الجن».

وإذا نظرْنا إلى قدرةِ الله فى خلْقِ السماءِ، وجدْنا أنَّ فيها أشياءَ كثيرةً تنفعُ الإنسانَ ولصالحِ بقائه سعيداً على سطحِ الأرضِ ... فمثلا... السماءُ هى التى تقومُ بإرجاعِ بخارِ الماء على هيئة مطر، فيجرى فى البحار والأنهار، كما تتشربُّه الأرض فى باطنها ليكون هذا الماء مصدر حياةٍ لجميعِ الخلائق، وهذه مهمةٌ عظيمةٌ أشارَ الله إليها فى قوله عز وجل: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ (١١) «سورة الطارق».

كما أن بروجَ السماء عرفَ أهلُ الأرضِ عن طريقِها مواقيتَ الفصولِ الأربعةِ، ومنْها عرفَ الناسُ أحسنَ وقت لزراعةِ المحاصيلِ الزراعيةِ المختلفة، فما يُزرعُ فى الصيفِ لا يُزرعُ فى الشتاءِ، ومايُزرعُ فى الربيعِ لا يُزرعُ فى الخريف، كذلكَ عرفَ الناسُ عن طريقِ البروجِ مواعيدَ صيدِ الأسماكِ لأنَّها تكثُر فى أماكنَ معينة عندَ ظهورِ نجومٍ معينةٍ علَى ضوئِها تتناسلُ الأسماكَ وتتكاثرُ. ولهذا أشارَ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى ذلكَ: ﴿ وَالسَّمَاءِ

ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (١) «سورة البروج».

هذه بعضُ الأشياءِ التى نَرَاها تَأْتى من السماءِ ولكنَّ للسماءِ آلافَ الفوائدِ والمهَامِّ التى لانَعْرِفُها ولاندرِكُها، ولِمَ لا ..؟! فلقد أودعَ اللهُ عز وجلَّ فى الكونِ أسرارَه العظيمةَ...

وصفُ السماءِ

إن السماءَ التى فوقَ رُءوسنا ليستْ واحدةً وإنَّما هى سبعُ سموات، كما حدثَّنا رسولُ ﷺ فى ليلةِ الإسراءِ والمعراجِ، حيثُ عُرِجَ به إلى السمواتِ بصُحبةِ جبريلَ عليه السلامُ، وانتقلَ النبىُّ الكريمُ من سماءٍ إلى سماءٍ، وكلُّ سماءٍ بها الملائكةُ الأطهارُ الأبرارُ، ومعهم بعضُ الأنبياءِ والصِّدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ...



فالسمواتُ تَتَدرَّجُ .. الأُولى هى الدُّنيا التى نَراها، ثم بعدَها الثانيةُ... وهكذا حتى نصلَ إلى السماءِ

السابعةِ...

وفوقَ السمواتِ السبعِ عرشُ اللهِ وكرسيُّه، وهو عظيمٌ واسعٌ فسيحٌ يحيطُ بالسماءِ والأرضِ إحاطةَ تحكُّمٍ وتقديرٍ .. وفوقَ ذلك فضاءٌ لا نهايةَ له ولا يعلَمُه إلا اللهُ علامُ الغُيوبِ...

فالسماءُ عالمٌ واسعٌ فسيحٌ، به أَسرارٌ وأَسرارٌ حكاها لنا القرآنُ و حكاها لنا رسولُ اللهِ، وعلَّمَنا من العلمِ بعضَ هذه الأَسْرَارِ... وكلُّ ذلكَ لا يكونُ إلا بِمَثَابَةِ قطرةِ ماءٍ في بحرِ اللهِ العليمِ الواسعِ الذى لا حُدُودَ لهُ...

الدعوة لتأمُّلِ السماءِ

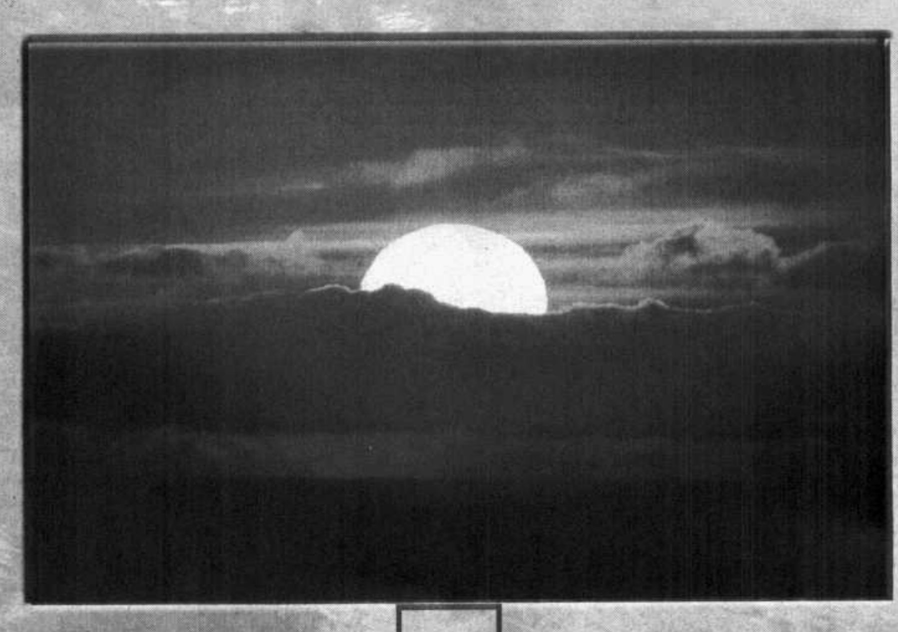
ومن حِكَمِ اللهِ اللَّطيفَةِ، أَنه أمَرَنا أَنْ ننظرَ إِلى السماءِ الدُّنيا... بعد أَنْ أخبرَنا سبحانَه وتعالَى: أَنه خلقَ السمواتِ.. سبعَ سمواتٍ... لأَنَّ السماءَ الدنيا فيها المجموعةُ النُّجُوميَّةُ التى تتدلَّى كالثُّريَّاً وكالمصابيحِ التى تَتَدلَّى فى البيوتِ..

فلو أنكَ نظرتَ بعد انتهاءِ الشفقِ الأحمرِ الذى يملأُ الكونَ بعد غروبِ الشمسِ، وقُمْتَ بالتَأمُّلِ فى رَصْدِ هذه النجومِ ومَدَى ارتفاعِها عنكَ، لرأيتَ هذه المجموعةَ تُزَيِّنُ صفحةَ السماءِ وتجعلُها أمامَ عينيكَ كالقُبَّةِ الزرقاءِ المليئةِ بالثُّريَّاتِ التى يهتدِى بها السائرُ فى الظلامِ، ويمشِى على هَدْيِها رَبَابِنُ السُّفُنِ، ومَلاحُو الطائراتِ، والقَوافِلُ فى الصحراءِ...

ولذلكَ أمرَنا اللهُ - تعالَى - أنْ نتأمَّلَ فى خَلْقِ السمَوَاتِ والأرض... قالَ - تعالَى-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ «سورة آل عمران». قالَ سُبْحانَه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)﴾ «سورة الملك».

آياتُ اللهِ الظاهرة فى السماءِ

إذا كانتْ النجومُ جعلَها اللهُ زينةً فى السماءِ لِيَهْتدِىَ بها



الإنسانُ السائرُ فى ظلامِ الليلِ، فكذلكَ هناكَ الشمسُ والقمرُ...

والشمسُ سراجٌ وهَّاجٌ .. والقمرُ مُنيرُ بِشُعَاعٍ هادِئٍ جميلٍ...

وعندما نَتَوَقَّفُ أَمامَ النجومِ والشمسِ والقمرِ، نرى أنَّ كلَّ شىءٍ خلقَه اللهُ بحكمةٍ ويسيرُ بدقةٍ .. فهناك انضباطٌ دقيقٌ جداً فى تنقُّلِ الشمسِ من منازلِها، والقمرُ كذلك والنجومُ ... حتَّى لايحدثَ بين هذه الأشياء تصادُمٌ، فتكونَ الخسارةُ فادحةً على الكونِ كلِّه... لأنَّ اللهَ جعلَ فوائدَ للبشرِ من وراءِ النجومِ ومن وراءِ الشمسِ والقمرِ كذلك ... مثل نُضجِ الزرعِ وتطهيرِ الجوِّ من الميكروباتِ، وتفتيحِ الزهورِ، وتوالُدِ الحيواناتِ، وتكاثرِ الأسماكِ...

ثم هناك الرياحُ التى تكونُ سبباً فى تلقيحِ الزروعِ .. وهناكَ الرياحُ التى تسوقُ السحابَ المُحَمَّلَ بالأمطارِ لينزلَ الماءُ فى مكانٍ مَّا يريدُه اللهُ، ليُنْبِتَ الزرعَ والأشجارَ فى منطقةٍ فى حاجةٍ إلى ماءٍ... لأنَّ الناسَ تعيشُ على الماء ... فلقد جعلَ اللهُ من الماء كلَّ شىءٍ حىٍّ سواءً حيوانٌ أونباتٌ أَو طيرٌ.. فآياتُ اللهِ عديدةٌ وكثيرةٌ فى السماءِ...

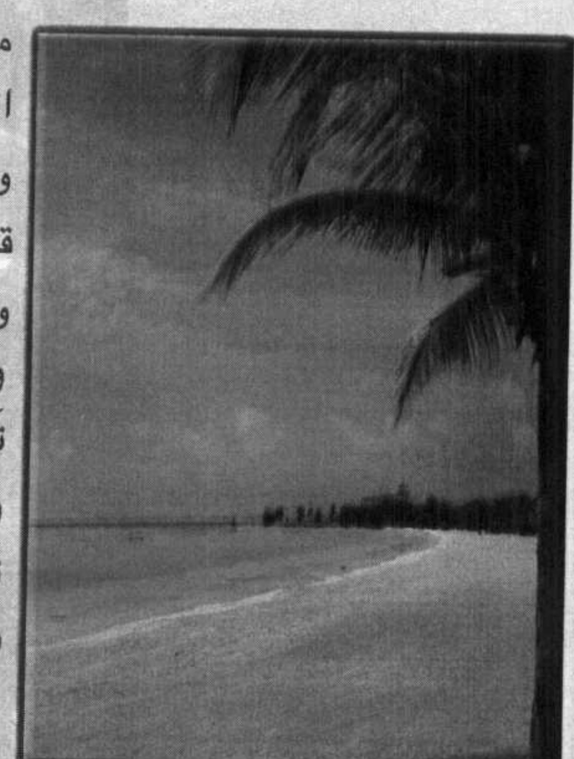
من آياتِ اللهِ فى السماءِ

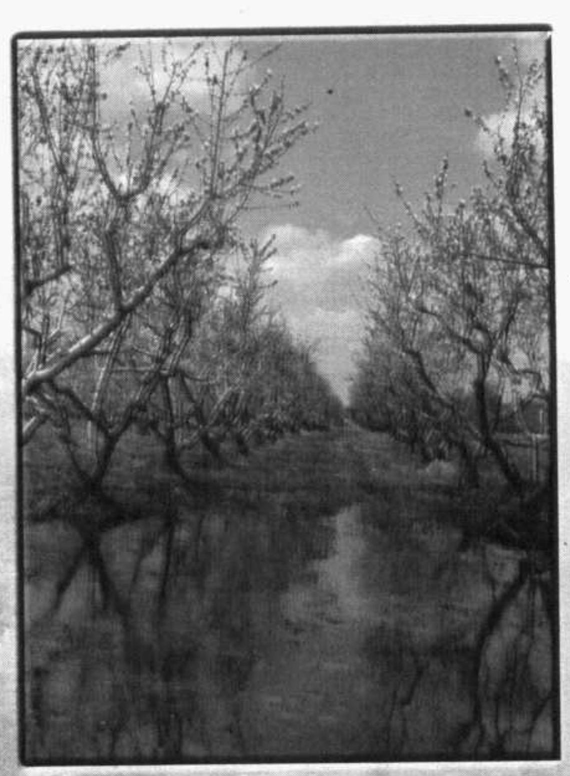
إنَّ السماءَ مليئَةٌ بأشياءَ لم يصِلْ إليها العقلُ الإنسانىُّ حتى الآنَ، فهناكَ نجومٌ تظهرُ على فتراتٍ طويلةٍ متباعدة، كالشِّعْرَى،

ذكرها الله عز وجل فى قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ (٤٩) «سورة النجم».

كما أنَّ هناكَ كواكبَ ضخمةً مثلَ المريخِ والمشْتَرِى وقد عَرَفَهما الناسُ عن طريقِ العلمِ وسفنِ الفضاء، بل إنَّ البعضَ قال إنَّ على ظهرِ هذه الكواكبِ حياةً... ومنها القمرُ الذى سارَ الإنسانُ على سطحِه، ويقومُ باختباراتٍ عديدةٍ على ظهرِه الآنَ...

كل هذه المعلوماتُ والمعرفةُ جائزةٌ .. لأنَّه إذا استطاعَ الإنسانُ أن يتعرَّفَ على ما حولَه من مكونات هذا الكونِ ازدادَ إيمانُه بالله وازداد علمُه... ولذلك قالَ لنا اللهُ - عزَّ وجلَّ -: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٣) «سورة الرحمن».





كما أَن السمـاءَ الدنيا شفافةٌ، نرَى منها النجومَ والقمرَ والكواكبَ والنيازكَ والمذَنَّبَات بصورةٍ واضحة جَلِيَّةٍ، فـإِنَّهـا لا تسـمحُ بتـسـربِ بخـارِ الماءِ إِلى داخلِ السـموات، وإِلا فلو أَنَّ بخـارَ الماء دخلَ إِلى السمواتِ ما نزلَ مطرٌ إِلى أهلِ الأرضِ وعندئذٍ تموتُ جميعُ المخلوقاتِ عطشًا، وفي ذلك قـال تعـالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ (٧) «سورة الذاريات».

ثم إِن هذه الصلابةَ التى تتمتعُ بها السماءُ القويةُ لا تسمحُ بتسرُّبِ الأكسجينِ الذى ينتفعُ به جميعُ المخلوقاتِ على ظهرِ الأرضِ، علما بأنه إذا تَسَرَّبَ الأُكسجينُ إِلى السمواتِ ماتتْ جميعُ الأحياءِ على ظهرِ الأرضِ اختناقًا.

كذلك الجاذبيةُ لا تسمحُ السمواتُ بتسربِها من الأرضِ، لأنها لو تسربتْ لسقطَ أهلُ استراليا وأَمريكا الجنوبية فى الفضاءِ الخارجيِ، واصطدمَ الناسُ بعضُهم ببعضٍ، لأن الجاذبيةَ هى

العـامل في وجـود هذا الاتزانِ على الأرضِ.

وفي السمـاء نجومٌ .. منهـا النجمُ الذي من صفاته أنَّه يَثْقُبُ الظَّلامَ ويختَرِقُه بضَوْئِه وأَطلقَ عليه العربُ قديمًا اسمَ نجمِ الغُول، ولم تعرفْه الإنسانيةُ إلا حديثًا، وقد يكونُ هذا النجمُ بجواره نجمٌ آخرُ .. فإذا اجتَمَعَا متَجَاورَيْنِ ظهرَ الضوءُ الثاقبُ القويُّ، وعند دورانِ النجمَيْنِ يختفي أحدُهُما خلفَ الآخرِ، ولهذا، قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٣) «سورة الطارق».

وهناك آلافُ الآياتِ الربَّانيـةِ في كـونه الواسعِ وسمـائه الفسيحة، أخبَرَنا اللهُ ببعضها، ودعانا إلى التفكيرِ والتأمُّلِ والتدبُّرِ لمعرفةِ بعضِها ... وكلُّها في صالحِ وخدمةِ البشريةِ ولصالحِ الكونِ...

السماءُ تبهرُ الناسَ

انبهرَ الناسُ قديمًا وعبدُوا الكواكبَ التى تجرِى فى السماءِ، وسجَدُوا لها، ولم تتَوَصَّلْ عقولُهم إلى خالقِ هذه الكواكبِ ومدبِّرِها، الذى حدَّدَ لكلِّ نجمٍ مساره، كما حدَّدَ الليلَ والنهارَ، ومسارَ الشمسِ والقمرِ، يقولُ عزَّ وجلَّ: ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ (٤٠) «سورة يس».

وإذا تأملَّنْاَ السموات، نَجِدُ أنَّ السماءَ الأُولَى نعرفُ بعضَ أَسرارِها، لكن ما بعدَ ذلك من سمواتٍ لا نُدْرِكُ أَسْرَارَها...

فبينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ مسيرةُ خمسمائة عامٍ، كما أوضحَ لنا اللهُ عزَّ وجلَّ ورسولُه الكريمُ.

وهل نظرتَ يا بُنَىَّ إلى السماءِ؟! هل رأيتَ فيها أىَّ خَلَلٍ؟! وهل تنقَّلْتَ فى مشارقِ الأرضِ ومغاربِها وذهبتَ شمَالاً وجنُوبًا ورأيتَ جزءًا من الأرضِ ليس عليه سماءٌ... إنَّ السماءَ هى غطاءُ للأرضِ، وكلما سرتَ فى أىِّ مكانٍ.. وجدتَ السماءَ تَعلُوك... وصدق اللهُ العظيم

ومَن يقولُ: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧) «سورة الذاريات».

وكانَ لنا فى سيدنا إبراهيمَ عليهِ السلامُ نموذجُ وقُدوةٌ، حينما أرادَ أنْ يخاطبَ عقلَ الإنسانِ فى كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فلما جاءَ عليه الليلُ رأَى كوكبًا والناسُ يَتطَلَّعُونَ إليه لجمالِه، ولأنَّ الناسَ



يستدلُّون به فى السيرِ، فقال لهم:- هذا الكوكبُ الذى ترونَه فى السماءِ هو إلهٌ.

ولكن سُرْعَانَ ما ظهرَ ضوءُ القمرِ، فاختفى هذا الكوكبُ فقال لهم:- الإلَهُ لا يغيبُ ولا يحجبُه شىءٌ، لذلك فهذا ليسَ بإلهٍ ...

وهذا منطقُ العقلِ ودليلٌ قوىٌّ فى إقامةِ الحُجَّة.. فقال لهم: تعالَوْا نَعْبُدْ القمرَ، لأن نورَه هوْ الذى أخفَى ضوءَ الكوكبِ...

وما هى إلا ساعاتٌ حتى طلَعَت الشمسُ، فاختفَى القمرُ، فقالَ لهم:- إذا كان القمرُ قد اختفَى ضوؤُه، وذهبَ جمالُه من نورِ الشمسِ فهو ليسَ بإلَهٍ...

فأمَّنَ الناسُ على كلامه، لأن المنطقَ سليمٌ والحجةَ قويةٌ.. فقالَ لهم: تعالَوْا نعبدْ الشمسَ، لأنَّها أقوَى النجومِ وأكثرُ اشعاعًا وأشدُ نورًا...

ولكن غابَت الشمسُ عند المغربِ، فقالَ إبراهيمُ عليهِ السلامُ.

– هى كذلكَ لاتصحُّ أن تكونَ إلهًا...

فسأَله مَن مَعه:– إذنْ فمَن نعبدُ يا إبراهيمُ...

قال:– اعبدُوا من خلَقَ هذه الأشياءَ، وسخَّرَ هذه الأشياءَ لِخْدمَةِ الناسِ، والناسُ ينتفعون بها بدونِ مُقَابِلٍ، وبدونِ أجرٍ...

ولكن الأجرَ الذى يجبُ أنْ يدفَعُوه، والمقابلَ الذى عليهم أنْ يقدمُوه هو شكرُ المُنْعِمِ المتَفَضِّلِ الخالقِ الواحدِ، لذلك أعلنَ لهمِ إبراهيمُ:– ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩) «سورة الانعام».

أى بُنَيَّ...

تلك كانتْ رِحْلَةً فى ملكوتِ السمواتِ المسْكُونَةِ بالملائكة الأطهارِ التى أخبرَنا الحقُّ عنها، ونراها ببَصَرِنا وبِبَصِيرَتِنا، ونشعرُ بأهميَّتِها ومنافعِها، التى تَمُدُّ الأرضَ بها من خلالِ أمرِ الله... لأنَّ كلَّ شىءٍ فى الوجودِ ومنه الشمسُ والقمرُ والنجومُ والأرضُ والجبالُ مسخَّرٌ لخدمةِ الناسِ، وكلُّها تسجدُ للهِ الواحدِ الديَّانِ...

ولنا أن نتأمَّلَ فى خلْقِ السمواتِ والأرضِ فى كلِّ وقتٍ لنكشِفَ قدرةَ اللهِ العظيمةَ فى كونِه الواسعِ... لنقولَ:

سبحانَ اللهِ الذى لم يخلُقْ شيئًا عَبَثًا.